السياسات الأمريكية والصينية في الشرق الأوسط في ظل مفهوم الثقافة دراسة مقارنة

أ. أي خه شيو (*)

الملخص:

تتأثر سياسيات الدول بالضرورة بثقافتها، يدرس هذا البحث السياسات الصينية والأمريكية في الشرق الاوسط في ضوء المفاهيم الثقافية لكل منهما، وذلك لما للثقافة المحلية والموروثات الثقافية من تأثير قوي وعميق على السياسات الدولية، في البداية سيقارن البحث بين مرجعية كل منهما الثقافية، ثم يعقد مقارنة بين سياسة كل منهما في الشرق الأوسط، ومدى تأثير مرجعية كل منهما الثقافية على سياساتهما في منطقة الشرق الأوسط.

الكلمات المفتاحية:

نظرية التناغم نظرية الصراع سياسة الشرق الأوسط

أولا: **مشكلة البحث**

"قامت السياسات الدولية لفترة طويلة من الزمن بإلقاء الضوء فقط على سياسات الحقوق، وتوازن القوى والمصالح الدولية، كما أنها كانت تهتم فقط بالعلاقات السياسية

---

* – الباحث أي خه شيو: معيد بقسم اللغة العربية– كلية اللغات الشرقية– جامعة جوانغ دونغ للغات والتجارة الأجنبية. حاصل على درجة الماجستير. التخصص الدقيق: اللغة العربية، ودراسات الشرق الأوسط.

والعسكرية، والقانونية وأيضا العلاقات الاقتصادية بين الدول، في حين كان الجانب الثقافي والظواهر الثقافية يحتلان قدرًا ضئيلاً من اهتمام السياسات الدولية"[١]. أمّا الآن وفي ظل مفهوم العولمة التي يشهدها عالمنا اليوم، فقد تراجعت أهمية الجوانب السياسية العسكرية تراجعًا ملحوظًا لحسا الجوانب والمؤثرات الثقافية التي أصبحت تحتل مركزًا مرموقًا من ضمن قائمة السياسات الدولية.

عندما تقوم أي دولة باتخاذ إجراءات سياسية ما، فمن المؤكد أنها ستتأثر بالضرورة بالثقافة المحلية.

أصبح الاهتمام متزايدا بالعامل الثقافي وذلك إلى جانب الاهتمام بالعوامل التقليدية الأخرى مثل العامل الاقتصادي والسياسي والعسكري وهذه ظاهرة واضحة أثناء تتبع قوة دولة ما، بالأخص العامل الثقافي السياسي للدولة ومن هنا أصبحت الثقافة معيارًا جديدًا يُعرف من خلاله التوجهات السياسية الدولية.

لكي تفوز أي دولة بأعلى قدر من المصالح الخاصة فإنها تقوم باتخاذ مجموعة من السياسات الدبلوماسية المناسبة وهنا يكون للثقافة تأثيرًا جوهريًا لا يمكن أن نغفله، وتختلف المفاهيم لثقافية باختلاف الحقبة التاريخية، كما إن التغيرات التاريخية وما يحيط بها من ظروف توضح العلاقة بين مفاهيم الثقافة السياسية وبين سياسية الدولة، وهذا يوضح لنا لماذا اتخذت تلك الدولة مثل هذه الإجراءات السياسية، فالمفاهيم الثقافية السياسية المختلفة لها تأثير مختلف لكل الإجراءات السياسية المتخذة، وتكمن أهمية فهم العلاقة بين الثقافة والإجراءات السياسية الدولية في معرفة الفكر الجذري لاتخاذ مثل تلك الإجراءات السياسية وأيضا اتخاذ رد سليم له دور هام.

ينعم العالم بالعديد والعديد من الثقافات، ولكن من بين هذه الثقافات تعتبر الثقافة الشرقية والثقافة الغربية الأكثر شهرة وشيوعًا، فهما أيضًا الأكثر تأثيرًا، والاختلاف بينهما يعد الأضخم؛ فالثقافة الشرقية تتمثل في "نظرية التناغم"، فلطالما أعلت من قيمة السلام والتوافق مع الآخر، أمّا الثقافة الغربية تتمثل في "نظرية الصراع" فهي ترتكز على مبدأين

الصراع والتناقض وتسعى دائما للهيمنة، فالثقافتان بينهما تضاد عميق، ومن الطبيعي أن تكون هاتان الثقافتان قد أثرتا تأثيرا كبيرا في الإجراءات السياسية للدول، فالصين والولايات المتحدة الأمريكية هما البلدان الأكثر تمثيلا تحت ظل اختلاف هاتين الثقافتين، فالاختلاف بين الثقافة الشرقية والغربية قد أثر على الإجراءات السياسية للصين والولايات المتحدة الأمريكية، باعتبار الولايات المتحدة الأمريكية رمز القوة الأولى في العالم والصين هي أكبر دولة نامية كما إنها ثاني أكبر مؤسسة اقتصادية عالميًا، فتأمل البلدان في إنشاء علاقات دولية جديدة، وفي مراحل إنشاء هذه العلاقات ستأخذ كلا البلدين الخلفية الثقافية لكلاهما في الاعتبار.

يدرس هذا البحث السياسات الصينية والأمريكية في الشرق الاوسط في ضوء المفاهيم الثقافية لكل منهما– دراسة مقارنة، في البداية سيقارن البحث بين مرجعية كل منهما الثقافية، ثم يعقد مقارنة بين سياسة كل منهما في الشرق الأوسط، ومدى تأثير مرجعية كل منهما الثقافية على سياساتهما في منطقة الشرق الأوسط.

ثانياً: "نظرية التناغم" التي هي جوهر الثقافة السياسية الصينية

١- الثقافة السياسية الصينية التقليدية :

تعتبر الحضارة الصينية هي الحضارة الوحيدة التي امتدت لحوالي ٥٠٠٠ عام ولم تكن هناك فترة انقطاع في هذه الحضارة، فهذه الحضارة ممتدة لآلاف السنين كما إنها الأكثر حيوية، فالصين دولة سلام، حيث إنها تلقي اهتماما على رمز "خه 和"، فالثقافة التقليدية الصينية تركز على الفرق بين الرمزين (خه 和) و(تونغ 同)، فالرمز (خه 和) معناه التوافق بمعنى التناغم، أما الرمز (تونغ 同) فيعني التوافق بمعنى التشابه، وهنا يتضح الفرق بين الرمزين، ويجدر بنا التأكيد على أن "الرمز (خه 和) معناه التوافق بمعنى التناغم، ولكنه ليس تتبع أعمى، وليس أيضا عدم التفرقة بين الصواب والخطأ، كما أنه بعيد تمام البعد عن تتبع طريق ما بلا هدف، فهو التناغم وليس التقليد الأعمى"[٢]، فثقافة الصين التناغمية يتجلى ظهورها في التعامل بين الأفراد، وتتجلى أيضا في العلاقة بين الفرد والبيئة المحيطة،

بل ويتجلى أيضا في العلاقات بين الدول، وعليه نجد سياسة الصين في العلاقات بين الدول وخاصة في مواقف حل الصراع تبعد تما البعد عن فكرة تقسيم الدول إلى قوية أو ضعيفة، بل تلجأ لمبدأ تعزيز وتقوية العلاقات بينهما، ونشر السلام لحل الصراع وتحقيق التناغم والتجانس بينهما، وهو جوهر كل المذاهب الفكرية الصينية، فنظرية "خه 和" أو ما يسمى باللغة العربية "التناغم" يظهر لنا مثلاً في فكر (كونفوشيوس) المعلم الأكبر حين يقول "إن للأخلاق دور هام وهو رفع قدر التناغم في أعلى الدرجات"، كما إنه كان يحث على المعاملة بالأخلاق، وكان يتبنى مبدأ الـ "لا عنف" في محل المشكلات، ومبدأ التناغم وليس التقليد الأعمى، وكذلك الفكر الطاوي ومؤسساه "لاوتسي" و"ماوتسي"، نجد "لاوتسي" يضع التناغم أساسًا لكل شيء، و"ماوتسي" يؤكد على "تبادل الحب والمنفعة"، وهكذا ظل الفكر التقليدي الصيني يحث الناس على تبادل المشاعر الطيبة والمساعدة، مما انعكس بالطبع على سياسة الصين مع الدول الأخرى، فنجد الصين دومًا تسعى لتحقيق المنفعة المتبادلة ونبذ العنف والصراع. تعتبر نظرية التناغم هي جوهر الثقافة السياسية الصينية التقليدية كما إنها تسعى لخلق علاقات تسامح تهدف لإيجاد نقاط مشتركة وترك الجوانب المختلفة جانبًا، سواء على مستوى العلاقات بين الأفراد، أو على مستوى العلاقات بين الدول بعضهم البعض وبين الثقافات المختلفة أيضا، كما إنها تهدف إلى التوصل للسلام في حل النزاعات ونبذ العنف، لذلك فإن نظرية التناغم تعد ملمحا مميزا للثقافة السياسية الصينية التقليدية.

٢- نظرية "التناغم":

يرى مذهب التناغم أن الأفراد في القرن الـ ٢١ سيواجهون العديد من النزاعات والمخاطر؛ سواء على مستوى الأفراد والطبيعة، أو مستوى الأفراد والمجتمع، أو مستوى الأفراد بعضهم البعض، أو مستوى الأفراد وأنفسهم، أو مستوى الحضارات المختلفة، وهذه النزاعات سيتولد عنها ظهور خمسة أزمات كبيرة: "أزمات بيئية، وأزمات مجتمعية، وأزمات أخلاقية، وأزمات فكرية، وأزمات قيمية"[٣]، وفي نفس الوقت طرحت نظرية التناغم "المبادئ الخمس الثقافية، ألا وهي: "مبدأ التناغم مع البيئة، ومبدأ التناغم في الحكم والإدارة، ومبدأ

التناغم على مستوى الأخلاق، ومبدأ التناغم في ظل الازدهار والنهضة، وأخيرا مبدأ التناغم في المحبة"[٤]. إن هذه المبادئ ما هي إلا حل للنزاعات الخمسة التي ذكرناها في الأعلى، كما إنها تشير أيضا إلى "الطريقة التي يمكنها أن تأخذ بأيدينا للخروج من الأزمات والوصول التناغم والسلام"[٥]، أمّا عن جوهر "نظرية التناغم"، فهو يتمثل في اتحاد الأفراد جميعًا، بحيث يلقي الضوء على الانسجام بين الطبيعة والأفراد، وأيضا انضمام الدولة في هيكل واحد، كما ألقى الضوء أيضا على التناغم والتوازن بين الأشياء، فتبادل المنفعة هو الهدف الأخير لهذه النظرية؛ فالتناغم لا يعني التقليد الأعمى، وتحقيق التناغم في أعلى الدرجات هو نتاج المحتوى الجوهري لفكرة التعامل بين الأفراد كما إنه فكر حكيم متميز.

٣- التطبيق العملي للثقافة السياسية الصينية:

يمتد تاريخ نظرية "التناغم" للثقافة السياسية الصينية منذ قديم الأزل وحتى الآن، فلم يكن لها تأثيرًا عميقًا على السياسة في الصين فحسب، بل أثرت على ممارستها الدولية أيضا.

دائمًا ما تلجأ الصين إلى تطبيق مفهوم "التناغم" في التعامل مع القضايا السياسية، ففي الصين قديمًا في مرحلة رسم علاقاتها الخارجية مع الدول المحيطة لم تلجأ أبدًا للصراعات، بل سعت دائمًا لتحقيق السلام، ولعل خير مثال على ذلك النموذج البدائي الذي تبناه حكامها قديمًا في رسم العلاقات مع العالم الخارجي، هو سياسة "تقديم هدايا الولاء وتبادل العطايا[٦]"، وتعني: أن يقوم الحاكم الصيني بتقديم مناصب حكومية لما يجاوره من بلاد، في حين يتعهد الطرف الآخر بتقديم الجزية بانتظام وتقديم مراسم العبادة، ولم يكن ذلك بالإجبار، بل كان من حق البلدان الأخرى قبول أو رفض هذه السياسة، ولكن كانت تعتبر هذه البلاد تلك السياسة مكسبًا كبيرًا لها، نظرًا لأن ما يحصلون عليه من مزايا من الصين تفوق بكثير ما يقدمونه هم للصين، كل هذا يدل على سعي السياسة الصينية منذ القدم لتحقيق التناغم والسلام، والمثال الآخر الذي نستشهد به في هذا الصدد هو رحلات المستكشف (تشنغ خه [illegible])[٧] إلى الغرب تلك الرحلات التجارية العظيمة، التي هي خير دليل على هذه النظرية، فعلى الرغم من قوة أسرة (مينج [illegible]) في ذلك الوقت إلا أنها لم

تفكر أبدًا في الاستيلاء على أي بلد أخرى، بل سعت لنشر حضارتها العريقة وخبراتها المتقدمة في العالم أجمع، أما في عصرنا الراهن تتبع الصين سياسة "المبادئ السلمية الخمس للتعايش" التي ذكرناها في الأعلى، ومع بداية القرن الجديد رفعت الصين شعار "ازدهار السلام" و"تناغم العالم" إلى ذلك من الشعارات، فما هم إلا تكملة لنظريات "التناغم والانسجام"، وبهذا نكون قد انهينا حديثنا عن تمثيل نظرية "التناغم".

ثالثاً: نظرية "الصراع" التي هي أساس الثقافة السياسية الأمريكية

١. الثقافة السياسية الأمريكية:

يعتبر منبع الثقافة الأمريكية هو ثقافة انجلو ساكسون الغربية، فهي تؤيد الحرية والمساواة لدرجة العبادة، ويؤمن الفكر الأمريكي أن الحرية والمساواة هما السبيل الوحيد والأمثل لتحقيق التقدم، لذا فالحرية هي البينة الأساسية الثقافة السياسية الأمريكية، والذاتية أو الفردية عمادها، واحترام الفرد واحترام حقوقه وحريته هو البوصلة التي توجه الفكر الأمريكي، وعليه نجد الفكر الأمريكي يُعلي مصلحة الأنا على مصلحة الجماعة، ويُعلي مصلحة "الحرية الأمريكية" و"الذات الأمريكية" حتى ولو على حساب الآخر، فالفكر الأمريكي يرتكز على "الذاتية" ولديه شعور بالفوقية تجاه الآخرين، ونجد الولايات المتحدة دائمة السعي لنشر أفكارها في البلاد الأقل تحضرًا، اعتقادًا منها أنها بذلك تساعدهم على التحضر والتقدم.

٢. نظرية الصراع الحضاري:

قام السياسي الأمريكي الشهير (صامويل هنتنغتون)[٨] عام ١٩٩٣ بطرح نظرية الصراع الحضاري فمنذ طرحها وحتى الآن وهي تحدث ضجة كبيرة في الساحة الأمريكية، حيث يرى (هنتنغون) أنه بعد انتهاء الحرب الباردة قد تعددت الحضارات، فربما قد تكونت ثماني حضارات رئيسية. لقد اصبحت الحضارة الغربية الآن تعانى تدهورا مشهودا وذلك على عكس الحضارات الغير غربية مثال الحضارة الكونفشيوسية والحضارة الإسلامية فهما يشهدا تطورا مشهودا. الآن لم تعد السياسة العالمية تُقسّم على حسب التكوين المعرفي، بل تُشكّل على أساس الحدود الحضارية فمثلا الشعوب والبلاد التي لها نفس الثقافات تتقارب أسرع،

فقد ظهرت الآن ترتيب جديد عالمي وهو ما جعل الحضارة هي البنية الأساسية للتقارب بين الشعوب.[٩]

أصبحت الاختلافات بين الحضارات هي الجوهر المركزي للصراعات السياسية العالمية، فالصراعات العالمية في المستقبل سيكون سببها الاختلافات بين الحضارات مما سيترتب عليه صراعات حضارية، فالنزاعات والصراعات الحضارية تعكس رؤية الولايات المتحدة الأمريكية في تبني نظرية الصراع الحضاري كتمثيل لثقافتها السياسية فهذا يدل على أن جميع الثقافات لا يمكنها التناغم معا مما قد يؤدي الى حدوث صراعات بينهم، بل ويجب أيضا النضال من أجل تعميم نظرية الربح والخسارة التي تنعكس بدورها في ممارسة السياسة الأمريكية.

٣. التطبيق العملي للثقافة السياسية الأمريكية:

في مجال السياسة الأمريكية خصوصا وبينما تقوم الولايات المتحدة الأمريكية باتخاذ اجراءات سياسية خارجية لا يعكس هذا أبدا قيمها الثقافية في الصراعات والهيمنة، فمثلا قد طبقت الولايات المتحدة الأمريكية سياسة "النزوح إلى الغرب "و ذلك في بداية إنشاءها لدولتها، فهي كانت ترى حالها " الدولة المختارة" ، فقد اتجهت للغرب وبدأت باحتلال الهنود الحمر وبالتالي قد دمرت ثقافتهم الهندية ونشرت بدلا منها ثقافتها الأمريكية...وقد شهدت الحرب الباردة صراعات بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي ورغبة الولايات المتحدة الأمريكية في تطبيق الثقافة الأمريكية لمذهب الحرية، وفي أثناء الحرب الباردة أيضا كانت سياسة الولايات المتحدة الأمريكية هي كبح الاتحاد السوفيتي ومن ثم تحريره، فالولايات المتحدة الأمريكية دائما ترى حالها هي المنقذ الوحيد للعالم، وبعد انتهاء الحرب الباردة رفعت الولايات المتحدة الأمريكية شعار "حقوق الإنسان أعلى من سيادة الدولة"، وذلك بحثا منها عن تعليل لسبب اقتحامها للشئون الداخلية للدول الأخرى وسيظل هذا هو سعيها الدائم حول القيمة الثقافية للحرية لديها، كما إنها يجب أن تسعى جاهدة لخلق القيمة الثقافية وهي "المنقذ" في نظرها. ولكن بعد انتهاء أحداث ١١ سبتمبر

كان القضاء على الجماعات الارهابية هو المهمة الأولى لحكومة الرئيس بوش، كما أنه قد وحد جميع منظمات مكافحة الإرهاب معا، و أطلق مبادرتين " مذهب بوش " و"توجهيه الضربة الأولى لتأمين التفوق " وبعد ذلك شنت الولايات المتحدة الأمريكية حربها على العراق، فالولايات المتحدة الأمريكية قد طبقت قيمتها الثقافية وتشكليها الوعي وذلك تحت شعار مكافحة الارهاب، كما إن النزعة الأمريكية الفردية الذاتية والهيمنة هنا تظهر جليا، فقد طرح الرئيس بوش الابن نظرية "رسم حدود للولايات المتحدة الأمريكية" كما أنه طرح أيضا سياسة "ليسوا أصدقاءنا بل أعداءنا "

لتجنب الاختلافات بين الحضارات وخاصة التخوف النابع من حضارة العالم الإسلامي، وبسبب أيضا تقدير الثقافة الأمريكية لحضارتها تقديرا لا متناهيا، وبالإضافة كذلك إلى نبذها لباقي الحضارات الأخرى المختلفة أدى هذا إلى تقوية الولايات المتحدة الأمريكية لإجراءاتها المتخذة وتطبيقها للنموذج الجميل لمذهب لحرية، أملا منها من التأثير بل وتغيير الحضارة والثقافة الإسلامية بصفة خاصة، وباقي الحضارات الشرقية بصفة عامة.

رابعاً: مقارنة سياسات الولايات المتحدة الأمريكية والصين في الشرق الأوسط من وجهه نظر الثقافة

منذ قديم الأزل يعتبر الشرق الأوسط هو منطقة حرجة للسياسات الدولية، و باعتبار الصين والولايات المتحدة الأمريكية دولتان عظمتان فإن سياساتهما الدولية تتصل اتصالاً وثيقًا وتؤثر تأثيرًا عميقًا في منطقة الشرق الأوسط، ونظرا للاختلاف الثقافي لكل من الصين والولايات المتحدة الأمريكية، فهذا أدى بدوره إلى اختلاف سياسات كل منهما في الشرق الأوسط.

١. سياسات الصين في الشرق الأوسط في ظل نظرية "التناغم":

لقد أثرت نظرية "التناغم " في سياسة الصين، ولم تخلو السياسات الدبلوماسية من هذا التأثير الجليّ أيضا، بل قد شكلت الصين نماذج دبلوماسية خاصة يتجلى فيها ظهور روح الثقافة مثل "السلام والتعايش"، و"عدم التدخل في الشئون الداخلية"، و"عدم فرض

الهيمنة"، و يتجلى أيضا ظهور نظرية "التناغم" في السياسة الدولية الصينية تجاه الشرق الأوسط، فبعد تأسيس جمهورية الصين أصبحت الدول العربية منطقة شريك لنضال وكفاح الصينيين، ومن جانبها أيضا فقد أيدت الصين العالم العربي في كفاحه ضد الإمبريالية والاستعمار وحركات النضال من أجل تحرير الشعوب وبهذا قد حظيت بإعجاب الشعوب العربية، وقامت بعض الدول العربية بإقامة علاقات دبلوماسية مع حليفتها الصين، والتي تبنت مبادرة "المبادئ الخمس للسلام والتعايش" كجوهر تجاه سياسات الشرق الأوسط وتطبيقًا لنظرية "التناغم"، كل هذا رسم للصين صورة جميلة في الشرق الأوسط. ولكن سابقا في الستينيات إثر قيام الثورة الثقافية في الصين وما تبعها من اضطرابات داخلية وتخبط في السياسات الخارجية، انتاب العالم العربي وقتها الشك والريبة تجاه الفكر والتوجه الصيني، ونتج عنه ركود في العلاقات الصينية العربية، ولكن في الثمانينيات حين طبقت الصين سياسة الإصلاح والانفتاح، والتي على أثرها انفتح الفكر السياسي الصيني وترك الاختلافات الاجتماعي والايدلوجية جانبًا، وتبني مبادرة "المبادئ الخمس للسلام والتعايش" و"عدم التدخل في الشئون الداخلية"، مما أدى إلى تطوير العلاقات الخارجية الصينية العربية بشكل كبير، وحظت الصين على سمعة جيدة وصورة رائعة في أذهان الشرق الأوسط المضطرب، وعلى الجانب الآخر نظرا لموقع الشرق الأوسط ومصادر الطاقة لديه والاقتصاد إلى ذلك من المنافع أصبح له أهمية حتمية بالنسبة للصين، تزداد تلك الأهمية يومًا بعد يوم.

ننتقل الآن إلى القضية الفلسطينية التي هي أساس مشكلة الشرق الأوسط، فالولايات المتحدة الأمريكية تدعم إسرائيل في احتلال فلسطين، أمّا الصين أثناء مبادراتها لحل المشكلة الفلسطينية سلكت طريقا غير الذي سلكته الولايات المتحدة الأمريكية، فقد رفعت الصين راية السلام وحثت على التصالح والحوار البناء، وتعمقت في كافة مجالات العمل، هذا وإن دل فإنه يدل على قيام الصين بدور هام مختلف في قضية السلام في الشرق الأوسط وترسيخها لصورتها في تحملها للمسئولية تجاه حلفائها من الدول الأخرى، ففي عام ١٩٩٩ بدأت رسميا المفاوضات بين فلسطين حول الوضع الدائم لدولة فلسطين، ومن أجل

حماية المصالح الخاصة لكل من الطرفين نشب صراع حاد وقد كان كل منهما يأمل في تأييد وتدخل من الصين. في شهر ابريل عام ٢٠٠٤ زار الرئيس الصيني (جيانغ تسه مين) فلسطين، وكانت هذه أول زيارة لفلسطين تقوم بها الصين، وقد تبنى الرئيس الصيني (جيانغ تسه مين) نظرية "التناغم" ملخصا بها موقف الصين تجاه حل القضية الفلسطينية الإسرائيلية، وباعتبار نظرية "التناغم" فكر فلسفي شرقي مر بسنوات طويلة من التجربة، فيمكن أن يؤدي إلى حل مشكلة الشرق الأوسط، "ولحل مشكلة الشرق الأوسط نحتاج لمحادثات سلام ليس للقوة، نحتاج للتعاون وليس للمقاومة، نحتاج لتبادل الفهم وليس للتنفير"[١٠]، قامت الصين بتعيين مبعوثًا خاصًا لقضايا الشرق الأوسط، والتي تُعد خطوة مهمة في العلاقات الدبلوماسية بين الصين والشرق الأوسط، وبهذا تكون هذه الخطوة أول خطوة عبقرية تقوم بها الصين في العالم المجاور لها تجاه قضايا حرجة كبيرة مثل قضية الشرق الأوسط، فهذا يبين اهتمام الصين بأمور الشرق الأوسط ومشاركتها النشطة في شئونه منذ تعيين مبعوثًا خاصًا للنظر في مشاكل الشرق الأوسط، ومنذ في شهر سبتمبر عام ٢٠٠٢ زار المنطقة كثيرا وذلك لتبني فكرة الحوار البناء والتصالح، هذا وقد أوضح لجميع الأطراف سياسات الصين في الشرق الأوسط، وقد بسط أيضا دور الصين العظيم في تعزيز نشر السلام في منطقة الشرق الأوسط وأصبح مبعوث الشرق الأوسط جزء لا يتجزأ من عمل الصين في المنطقة، وظلت الصين منذ تأسيس العلاقات الدبلوماسية بينها وبين منطقة الشرق الأوسط، تتخذ من "التناغم" جوهرًا لسياستها في المنطقة هدفًا ساميًا تسعى لتحقيقه، كما تؤكد سياستها على مساعيها لتحقيق التناغم وليس التقلد، وسلك مسالك التصالح والحوار البناء، في ظل احترام سيادة الآخر على أرضه وعدم التدخل في الشئون الداخلية للشرق الأوسط مطلقًا والاحترام المتبادل، وهو بالطبع طريقا غير الذي سلكته الولايات المتحدة الأمريكية، مما ساهم في خلق الود والاحترام والتقارب بين الصين ودول الشرق الأوسط .

نظرا للانقلابات التي حدثت في الشرق الأوسط مؤخرا، ما زالت الصين تحافظ على جوهر سياستها تجاه الشرق الأوسط وهي "نظرية التناغم " كما إنها أيضا قد عدلت بعض

الأمور تماشيا مع الظروف الجديدة للمنطقة. ، فأول ما قامت به هو الحفاظ على مبدأ "عدم التدخل في الشئون الداخلية " فعندما وضع مجلس الأمن ليبيا من ضمن البلاد المحظورة جويا امتنعت الصين عن التصويت في هذا الشأن، وعندما اتُخِذ قرار بالإطاحة بالحكومة السورية الحالية صوتت الصين بالرفض، وعند حدوث الانقلابات في الشرق الأوسط غيرت الصين من نمط المشاركة الغير نشطة، وبادرت بالتواصل مع الأحزاب المختلفة موضحة دور النقاش والحوار البناء، وشجعتهم على الحوار والتواصل من أجل حل المشكلات. وبعد استقرار الوضع في الشرق الأوسط وتغيير السلطة السياسية، وقد كان موقف الصين من الأزمة السورية غير مفهوم وغير متوقع للكثير من الدول العربية، ولهذا قد توجهه مبعوث الشرق الأوسط للدول المعنية ليوضح موقف الصين وقد شدد على أن الصين لا تقف في صف ضد صف آخر.

وإن الأمثلة الدالة على موقف الصين في الشرق الأوسط لا تنتهي، ولكنها جميعًا تؤكد انطلاق السياسة الصينية من مبدأ "التناغم"، وسعيها لتحقيق السلام وتمسكها بمبدئي "عدم التدخل في الشئون الداخلية" و"الاحترام المتبادل"، وهو بالطبع طريق مختلف تمامًا لذلك الذي سلكته الولايات المتحدة الأمريكية.

٢. سياسات الولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأوسط من في ظل نظرية "الصراع":

تتمتع الولايات المتحدة الأمريكية بعدة مصالح في الشرق الأوسط منها الأمن، والطاقة، وموقع الشرق الأوسط الجغرافي، بالإضافة إلى وجود حليفتها اسرائيل هناك. لذلك كانت سياسات الولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأوسط ما هي إلا المهمة الرئيسية التي تقوم بها سياساتها الخارجية، "بدأت أولى سياسات الولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأوسط بعد الحرب العالمية الثانية، تماشيا مع ازدياد القوة العسكرية والقوة الاقتصادية الأمريكية، وأصبح للشرق الأوسط احتياجات ومصالح في الاستراتيجية الأمريكية العالمية والمصالح العالمية، ولكن كان يتمتع بمكانة أقل شأنا من أوربا في هذه الاستراتيجية، بعد

انتهاء الحرب الباردة كانت سياسات الولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأوسط تنص على ادخال الشرق الأوسط من ضمن استراتيجيتها العالمية، وجعله مركزًا هامًا لمنافسة الاتحاد السوفيتي، والتنافس مع البلاد الأخرى على موارد البترول فيه، وبهذا ستستفيد بمصالح استراتيجية كثيرة"[١١]. في ذاك الوقت كان يظهر جليًا سياسة الهيمنة والصراع الأمريكية تجاه الشرق الأوسط. فالولايات المتحدة الأمريكية كانت ومازالت تتبنى سياسة "دعم اسرائيل في احتلال فلسطين"، وتدعم اسرائيل دعمًا مطلقًا، فيمكننا القول أنه منذ قيام دولة إسرائيل حتى ازدهارها والولايات المتحدة الأمريكية تساندها يدًا بيد، ففي كل حروب الشرق الأوسط والولايات المتحدة الأمريكية تدعم اسرائيل مما أدى إلى انتزاع أرض فلسطين، فترك هذا أثرا في نفوس مواطني الشرق الأوسط بأن الولايات المتحدة الأمريكية هي دولة الاغتصاب والهيمنة. ولكي تنال الولايات المتحدة الأمريكية مصالحها الخاصة، تحالفت مع بعض دول الشرق الأوسط وكونت معهم علاقات تبادل مثل تركيا والسعودية وايران أثناء حكم الرئيس بهلوي، ومصر أثناء حكم الرئيس السادات. ولكن هذا التحالف ما هو إلا تحالف بين الحكومة الأمريكية وحكومات الدول وقتئذ فقط، هذا وبالإضافة إلى الوسائل القهرية والسيطرة التي تتبعها الولايات المتحدة الأمريكية ، كما أن الدعم والمساعدات التي كانت تقدمها كانت لها بنود قاسية، مما آل إلى استهجان مواطنو الشرق الأوسط سلوك الولايات المتحدة الأمريكية وكل الحكومات الموالية لها، وأدى إلى تزايد المشاعر المعادية لها. تستخدم الولايات المتحدة الأمريكية كل أساليب الحصار وذلك مع الدول التي لا تتشارك معها بل وتستخدم كل القوى في قهر تلك الحكومات.

بعد انتهاء الحرب الباردة رفعت الولايات المتحدة الأمريكية شعار "الحرية "أملا منها في ابادة تلك المشاعر المعادية تجاهها. شنت الولايات المتحدة الأمريكية حرب الخليج وحرب العراق، وذلك تحت ادعاء تخليص الشعوب المضطهدة من حكوماتها المستبدة، أمّا الحال مع السعودية ونظامها الملكي فهو يختلف بعض الشيء فإن الولايات المتحدة الأمريكية لا ترغب في تغيير الحكومة السعودية وذلك لأن السعودية هي حليفتها القوية، أما شعار

الولايات المتحدة الأمريكية للحرية ما هو إلا ستار يختبئ وراءه رغبتها الشديدة في الحصول على مصالح من الشرق الأوسط فهذا الشعار ما هو إلا المعطف الخارجي لسياسات الولايات المتحدة الأمريكية هناك.

"عقب أحداث ١١ سبتمبر انتهزت الولايات المتحدة الأمريكية تعاطف جميع الشعوب مع شعب الولايات المتحدة الأمريكية المنكوب وأطلقت حركة مكافحة الارهاب وتولت هي تنظيم تحالف لمكافحة الارهاب وأطاحت بحكومة طالبان في أفغانستان، وبهذا وتحت ستار مكافحة الارهاب قد عززت من قيمتها وايدولوجيتها وبهذا يكون ظهر جليا مذهب الفردية والهيمنة .قام الرئيس بوش الابن بتوضيح توجهه، حيث قال أولا :إن استراتيجيات الولايات المتحدة الأمريكية لم تعد تضع نظرية الاحتواء ومذهب القوة الرادعة في أولى سياستها بل وضعت في المقام الأول مبدأ "توجهيه الضربة الأولى لتأمين التفوق " بحيث إنها ستبادر بالهجوم قبل حتى حدوث أي أخطار، ثانيا : القيم الامريكية متماشية مع القيم العالمية بما فيها قيم الدول العربية، ثالثا : ستحافظ الولايات المتحدة الأمريكية على قوتها العسكرية التي لا يمكن لأي قوة عسكرية مناهضتها، وبهذا لن يصبح لسباق التسلح أي قيمة"[١٢]، وهكذا كانت سياسات جورج بوش ماهي هي تجسيد لنظرية الصراع والهيمنة المميزة للثقافة السياسية الأمريكية.

و أيضا قررت الولايات المتحدة الأمريكية تبني فكرة إصلاح مفهوم الحرية في الشرق الأوسط، فهي ترى من جانبها وجوب استخدام الحرية والإرهاب للكفاح والمقاومة، ووجوب أيضا صنع خطة إصلاحية فعالة طويلة المدى لدفع المجالات السياسية والمجتمعية والاقتصادية والثقافية إلى ذلك من النواقص والعيوب الظاهرية في الشرق الأوسط والعالم الاسلامي، حيث ترى أيضا أن الديمقراطية والحرية هما أسلم وأفضل طريقة لحل مشكلة الجماعات الارهابية المتفشية في المجتمع الاسلامي، و"طبقت الولايات المتحدة الأمريكية سياستي الحزم واللين لتحقيق "الإصلاح الديموقراطي الأكبر في الشرق الأوسط"، تمثل الحزم في الضغط السياسي والعقوبات الاقتصادية والتدخل العسكري، والتي وُجِّهَت خصيصا

لإيران وسوريا، حيث رأت الولايات المتحدة أنه الأسلوب الأنسب معهما لتحقيق التغيير، في حين لجئت في مصر والسعودية والبحرين لاستخدام سياسة اللين، والمتمثلة في نشر الفكر التحرري، من خلال تحقيق التبادلات على المستويين التعليمي والثقافي وتطوير اقتصاديات السوق وتحرير المرأة."[١٣] تفوق هذه السياسات الدبلوماسية الامريكية نظيراتها من الثقافة السياسية المهيمنة التي تجعل من نظرية "الصراع" جوهر لها. فمثلا تستخدم الولايات المتحدة الأمريكية أساليب قوية مثل الاحتلال العسكري، وفرض الديمقراطية بالقوة، فقد استخدمت الولايات المتحدة الأمريكية التدخل العسكري وأساليب قوة أخرى وذلك في حربها مع أفغانستان والعراق، واجبارهم على تغيير حكوماتهم والتشجيع على الديمقراطية. ثقافيا فإنه من خلال نشر القيم الديمقراطية الامريكية، قد غيّر تدريجيا الطبيعة السياسية للدول الاسلامية في الشرق الأوسط، فقد استخدمت الولايات المتحدة الأمريكية وسيلة الاعلام لنشر القيم والديمقراطية الغربية وشن الهجوم على الأنظمة الاجتماعية الغير غربية، واستخدمت حقوق الانسان والإصلاح الديمقراطي، وتمويل الديمقراطية وحقوق الانسان، وتأسيس الانتخاب الديمقراطي الغربي وتعزيز الإصلاح القضائي ستارًا لها.

ومع وقوع الأزمة المالية العالمية واستراتيجية الرئيس أوباما حدثت بعض التعديلات على السياسة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط، لكن لم يطرأ أي تغيير على الغاية الأمريكية وهي تحقيق الهيمنة الأمريكية. ويمكن تلخيص هذه الاستراتيجيات في الآتي: أولا انتهزت وجود حكومات مستبدة في الشرق الأوسط وأعلت من قيمة الديموقراطية في الفكر التحرري في الشرق الأوسط، وشجعت على اصلاح النظام السياسي وإقامة نظام ديمقراطي، وعززت هذه الأفكار في عقول الشباب من خلال الإنترنت ووسائل الإعلام وشجعت الحركات الشبابية لتنمية المجتمع المدني، ثانيا تغيير أسلوب سياسة التدخل في الشرق الأوسط، فقد تحولت من التدخل العسكري المباشر إلى التدخل الغير مباشر، ففي أثناء حرب ليبيا الداخلية تظاهرت الولايات المتحدة الأمريكية بالاتزان الخارجي، في حين شحنت ووجهت الغرب

والشرق للتدخل هم والانقضاض على ليبيا، الانقضاض والاكتساح، وبهذا تكون قد حققت هدفها بخسائر أقل وفي الوقت نفسه الظهور بمظهر أخلاقي وإنساني عادل رفيع.

المستخلص

إن سياسة الولايات المتحدة تجاه الشرق الأوسط تتلخص في نظرية الصراع والهيمنة، وتحت تأثير هذه الاستراتيجيات، أصبحت المصالح الأمريكية هي الأساس، والقيام بغزو قوي على استراتيجيات المنطقة، أما سياسة الصين الخارجية تنطلق من مبدأ "التناغم" الثقافي، وتحقيق السلام، واحترام سيادة الآخر، والتي هي جميعها مبادئ مخالفة تمامًا للسياسة الأمريكية، خاصةً في الشرق الأوسط.

الهوامش :

[١] جانغ إي: "مقدمة في الثقافة السياسية الدولية"، دار نشر المعرفة العالمية، ٢٠٠٥، صـ ٣٠

[٢] المرجع السابق، صـ ٣٣٦

[٣] جانغ لي ون: "مقدمة في ثقافة التناغم الصينية"، دار النشر المركزية للحزب الشيوعي الصيني،٢٠٠١، صـ ٢٣

[٤] المرجع السابق، صـ ٥٤

[٥] المرجع السابق، صـ ١

[٦] بدأ هذا النظام منذ القرن الثالث قبل الميلاد واستمر حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، وهو نظام صيني الأصل، كان معمول به في بلاد شرق وشمال شرق وجنوب شرق ووسط آسيا.

[٧] (تشنغ خه) ويسمى بالعربية "حجّي محمود شمس" كان بحارا صينيا مسلما ولد عام ١٣٧١ م في أسرة مسلمة تدعى " ما " من قومية هوي بمقاطعة يونان في جنوب غربي الصين .تربى في بلاط الأمير (تشو دي) من أسرة (مينغ)– أمير منطقة يان (منطقة بكين حالياً)، قام (تشينغ خه) برحلات عديدة زار فيها البلدان التي تقع على سواحل المحيط الهندي وجنوب آسيا وأفريقيا وصل إلى منطقة الخليج والبحر الأحمر ومكة المكرمة وكان ذلك في سبع رحلات بحرية استغرقت ٢٨ عاماً حاملا معه بضائع كثيرة من المنسوجات الحريرية والمجوهرات والعقاقير الطبية الصينية، واحتفلت الصين عام ٢٠٠٥ بمرور ٦٠٠ سنة على أولى رحلاته البحرية الضخمة التي عبر بها المحيط، بعرض بعض الأثار ذات العلاقة وإصدار مجموعة من الطوابع بهذه المناسبة، معتبرة إياه (رسول المهمات الدبلوماسية) و(رجل السلام) الذي جاب المحيطات ولم يشعل حرباً ولم يقتل أحداً، ولم يفعل ما فعله كولومبوس بالهنود الحمر، سكان أمريكا الأصليين ولا ما فعله كوك البريطاني بسكان أستراليا الأوائل.

[٨] هو عالماً سياسياً أميركياً، ومفكر محافظ. عمل في عدة مجالات فرعية منبثقة من العلوم السياسية والأعمال، وأحد أكثر علماء السياسة تأثيراً في النصف الثاني من القرن العشرين. أكثر ما عُرف به على الصعيد العالمي كانت أطروحته بعنوان "صراع الحضارات"، والتي جادل فيها بأن صراعات ما بعد الحرب الباردة لن تكون متمحورة حول خلاف أيديولوجيات بين الدول القومية بل بسبب الاختلاف الثقافي والديني بين الحضارات الكبرى في العالم، وهو جدال تمسك به حتى وفاته.

[٩] صامويل هانتغوتن، "صراع الحضارات"– دار واشنطن للنشر، ٢٠١٠.

[١٠] جونغ جه تشنغ، "من أجل عالم أفضل---- مذكرات زيارات الرئيس الصيني جيانغ تسه مين"، دار نشر المعرفة العالمية، ٢٠٠٦، صـ ٤٣٨.

[١١] وانغ جينغ ليا، "دراسات حول السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط– الجزء الأول"، "مجلة أبحاث العالم العربي" ٢٠٠٧، العدد الخامس.

[12] The National Security Strategy of the United States of America［EB/OL］.［2007-04-07］. http://www.whitehouse.gov/nsc/nss.html

[١٣] جوو جوو: "تطور سياسة الولايات المتحدة في الشرق الاوسط"، "مجلة العلوم السياسية الدولية"، ٢٠٠٧، العدد الرابع.

قائمة بالمراجع والمصادر

١. جانغ إي: "مقدمة في الثقافة السياسية الدولية"، دار نشر المعرفة العالمية، ٢٠٠٥.

٢. جانغ لي ون: "مقدمة في ثقافة التناغم الصينية"، دار النشر المركزية للحزب الشيوعي الصيني،٢٠٠١.

٣. جونغ جه تشنغ، "من أجل عالم أفضل---- مذكرات زيارات الرئيس الصيني جيانغ تسه مين"، دار نشر المعرفة العالمية، ٢٠٠٦.

٤. جوو جوو: "تطور سياسة الولايات المتحدة في الشرق الاوسط"، "مجلة العلوم السياسية الدولية"، ٢٠٠٧، العدد الرابع.

٥. صامويل هانتغوتن، "صراع الحضارات"– دار واشنطن للنشر، ٢٠١٠

٦. وانغ جينغ ليا، "دراسات حول السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط– الجزء الأول"، "مجلة أبحاث العالم العربي" ٢٠٠٧، العدد الخامس.

7. The National Security Strategy of the United States of America［EB/OL］.［2007-04-07］. http://www.whitehouse.gov/nsc/nss.html